

تقديم مركز نهوض للدراسات والبحوث

إن مفردات الثقافة السياسية كثيرة، ومن الأهمية أن تُفرد لها بحوث ودراسات، وهي بالتأكيد موضوع للدرس في مختلف الجامعات والمعاهد العليا المتخصصة في «القانون العام» أو أقسام «الفلسفة السياسية»، لكن حالة الوعي والثقافة في واقعنا العربي تقتضي استئصال تلك المفاهيم من دائرة النخبة إلى التداول في سياق عام.

وسلسلة «جدليات سياسية» مشروع بحثي يتقارب ويتكامل مع عدد من المشاريع البحثية الأخرى التي هي في طور الإنجاز داخل مركز نهوض للدراسات والبحوث، مثل:

- مشروع تجديد الفكر الديني: الذي يختصُّ بأسئلة الاجتهاد وقضاياها وتجديد أدواته ومنظوراته.
- مشروع الأدلة الإرشادية إلى كُتب التراث الإسلامي: الذي سيصدر منه قريباً الدليل الإرشادي إلى ما كُتِبَ عن ابن خلدون.
- مشروع مداخل منهجية: الذي يختصُّ بتقديم العلوم الإنسانية بكيفية جديدة تهدف إلى ضبط الجوانب التطبيقية والمنهجية لتلك العلوم.

وبهذا التنوع في المشاريع - ما بين بحوث في مجال الفكر الإسلامي وبحوث في حقل العلوم الإنسانية - يحرص المركز على توسيع أعماله وتنويعها وتكاملها.

وانتقاء المركز لموضوعات «سلسلة جدليات سياسية» سيكون
موجهًا بشكل خاص إلى المفردات المفاهيمية والقضايا الجدلية في
ثقافتنا السياسية العربية والإسلامية، أي تلك التي عليها سجال أو لنقل
حتى خصام بين التيارات الفاعلة في العالم العربي الإسلامي، إيمانًا
بالحاجة الآنية والعاجلة للإصلاح السياسي الذي صار اليوم من أولى
الأولويات في عالمنا العربي.

ولأن هذا الإصلاح لا يمكن أن يتمَّ ويُنجَز على مستوى الواقع دون
إنجازه على مستوى الفكر؛ تأتي هذه السلسلة لتُسهِم في إثارة الأسئلة
الحرجة التي يعانينا واقعنا المعاصر، وتُنبِّه إلى أوجه معالجتها.

وتهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على أهم مفاصل مفهوم
المواطنة وإشكالاتها، ليس فقط على المستوى النظري بضبط
دلالتها وإدراك تطوراتها المعاصرة، بل أيضًا على مستوى الواقع
العربي الإسلامي، ببحث تياراته الفكرية والسياسية وإخضاع مواقفها
للدراسة والتحليل على ضوء إشكاليات المواطنة التي أبرزت حتمية
ووجوب الإصلاح الديني والسياسي العام كمدخل لأي تفاعل
إيجابي مع هذه الجدلية.

واختيار مفهوم المواطنة ليكون أحد العناوين الأولى لم يكن
جزافيًا، بل السبب هو أنه أحد المفاهيم السياسية الأكثر جدليةً في فكرنا
العربي والإسلامي المعاصر، كما أن للمفهوم أهميته الواقعية، حيث إن
الانتقاص من حقوق المواطنة أو انتفاءها في مجتمعاتنا العربية أصبح
يشكّل تهديدًا للسلم الأهلي؛ لأنه أفرز صراعات وحروبًا دموية، مما
يجعل طرح مفاهيم المواطنة ومبادئها للدراسة والحوار قضيةً ضروريةً

كإسهام نرجو أن تتلوه إسهامات أخرى تزيد في إضاءة وتحديد العوائق النظرية والواقعية التي تمنع تجسيد قيم المواطنة في واقعنا العربي.

ولأن مركز نهوض للدراسات والبحوث لا يؤمن بأحادية النظر، بل يرى أن هذه السلسلة بنوعية مفرداتها الإشكالية تستوجب إعمال أكبر قدر من المداخل المنهجية للتمكّن من إضاءتها، وفهم أسباب الاختلاف في التنظير لها من قِبَل المشتغلين بالبحث في الفكر السياسي، فإن المركز يجعل من الإعلان عن هذه السلسلة دعوةً مفتوحةً إلى الباحثين من مختلف الاختصاصات العلمية إلى الإسهام في إنجازها.

ولتحقيق ذلك، حرصت هذه الدراسة على بحث إرهاصات قيم المواطنة في التاريخ والفكر الإسلامي بدءاً بعصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ثم النظر فيما لحق تلك القيم من تراجع خلال زمن نموذج الخلافة السلطانية، وانتهاءً بمعالجة مفكري عصر النهضة وما واجههم من تحديات في التنظير للمواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر، ومن ثمّ الانتقال إلى التركيز على بحث المفهوم في فكر التيارات الإسلامية المعاصرة السُّنية والشيعية.

وقد استند المؤلف في دراسة هذه التيارات على تحليل موقفها من الأبعاد المؤسّسة لهذا المفهوم، أي الأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والحقوق المدنية والثقافية.

وعلى الرغم من أن هذه الدراسة دراسة وجيزة من حيث الحجم، فقد حاول المؤلف أن يكتف فيها برؤيته إلى إشكالية المواطنة، مستحضراً صيرورة التاريخ، وإشكالات الحاضر، مع التفكير في تقديم معالجاتٍ لكثير من المشكلات الجوهرية التي تعترض الإصلاح السياسي في العالم العربي.

ولعل ما ساعد المؤلف على ذلك هو امتلاكه التخصص الأكاديمي، بالإضافة إلى تجربته السياسية، كونه وزيراً سابقاً، وكونه أحد الفاعلين في العمل الإسلامي الشعبي، وهذا الجمع بين الجانب المعرفي والممارسة السياسية قد قَرَّب الدراسة من ملامسة إسقاطات تلك المفاهيم والأفكار على الواقع العملي.

ولن نبالغ بالقول إن هذا الكتاب -على وجازته- يُعدُّ دراسة عميقة لمفهوم المواطنة وبنية الدولة في كثيرٍ من جوانبها الدلالية والتاريخية، مع التركيز على تجديد النظر في دلالات المفاهيم ووظائفها.

وتتمثَّل أطروحة المؤلف في المناداة ببناء دولة المواطنة غير المؤترة في تمثيل حالة دينية أو عرقية ضيقة وأحادية الهوية، بل دولة ذات منظومة قانونية وإدارية وظيفتها الحرص على إشعار جميع مكونات المجتمع بأنهم متساوون في الحقوق والواجبات، في إطار يقنن مفهوم الدولة وعملها بوصفها جهازاً خدمياً وتنظيمياً يستوعب عموم المواطنين، وقابلاً للتجديد والتطوير في إطار علاقة تعاقدية.

غير أنه ينبغي التأكيد على أن هذا العمل ليس سوى خطوة في اتجاه الوضوح الدلالي لمفهوم المواطنة، وتبقى مهمّات كثيرة تحتاج إلى الإنجاز؛ لأن صياغة نظرية للمواطنة لن تكون حيّة ومؤثرة إلا بمقدار ما تكون متطورة وقائمة على تفعيل ثقافة الاجتهاد وتجديد فقها السياسي، حيث دائماً ما تستجدُّ إشكاليات تنتظر مقاربات علمية رصينة. أما تركُّها دون بحث، فمن شأنه أن يُدخل المجتمع في جمودٍ أو حيرة فكرية وصراعٍ مُشتت؛ لذا تتجدد الحاجة اليوم إلى نظريّ اجتهاديّ يجيب بجرأة علمية عن القضايا والمسائل العالقة، ويتفاعل مع مستجدات الفكر والواقع.